Research in Contemporary Literature
Islamic Azad University in Jiroft
http://cls.iranjournals.ir/

Volume 14, Issue 53
June 2022
pp. 164-184

Research Article

Irony in the poetry of Muhammad Reda al-Shabibi

Abdollkarim Alboughbish*[1], Raheem Ansaripour[2], Aziz Eshmidian[1]

Abstract

Many Iraqi poets, in their poems, touched on the prevailing and ruling situation on the Iraqi people and the extent of the oppression of the ruler and occupier of their country, and they took different approaches to explain what happened to their homeland, Iraq. Among these methods, which have had an effective and effective resonance in the hearts of Iraqis, is the use of satirical poetry, and many satirical poets have emerged who use satirical poetry as a weapon to defend their principles and enlighten the ideas of their oppressed people. Irony in dealing with many social, cultural, religious and political issues in the Iraqi society in particular and the issues of the Arab world in general. Al-Shabibi and his political ideas went beyond the framework of Iraq and included a broader and more comprehensive framework, which is the Arab framework. Religion and mocking customs and traditions and the like. This study relied on the descriptive-analytical approach in dealing with the features of irony in the poetry of Muhammad Reda Al-Shabibi and showing his goals from employing such an art to reach his goals.

Keywords: Irony, Al-Shabibi, Iraq, Poetry, Satire

1*. Assistant Professor, Islamic Azad University, Abadan, Abadan, Iran dr.karim5151@gmail.com
2. Islamic Azad University, Ilam Governorate, Ilam, Iran

Receive Date: 08.07.2021 **Accept Date:** 22.08.2021

دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
/http://cls.iranjournals.ir

دوره ١٤، شماره ٥٣
بهار ١٤٠١
صص: ١٨٤-١٦٤

مقاله پژوهشی

بررسی قلمروهای متعارف استعاره های غم در زبان فارسی بر اساس نظریه زلتان کوچش

عبدالکریم البوغبیش*[1]، رحیم انصاری پور[2]، عزیز عشمیدیان[1]

چکیده

بسیاری از شاعران عراقی در اشعار خود به وضعیت حاکم و حاکم بر مردم عراق و میزان ظلم حاکم و اشغالگر کشورشان پرداخته و برای تبیین آنچه بر سر وطنشان عراق آمده، رویکردهای متفاوتی در پیش گرفتند. از جمله این شیوه ها که در دل مردم عراق طنین مؤثر و مؤثری داشته است، استفاده از شعر طنز است و شاعران طنز بسیاری ظهور کرده اند که از شعر طنز به عنوان حربه ای برای دفاع از اصول خود و روشنگری افکار مردم مظلوم خود استفاده می کنند. . طنز در برخورد با بسیاری از مسائل اجتماعی، فرهنگی، مذهبی و سیاسی در جامعه عراق به طور خاص و مسائل جهان عرب به طور کلی. الشعبی و اندیشه های سیاسی او از چارچوب عراق فراتر رفت و چارچوب وسیع تری را در بر گرفت که همان چارچوب عربی است. دین و تمسخر آداب و سنن و مانند آن. این پژوهش با رویکرد توصیفی- تحلیلی در پرداختن به ویژگی‌های کنایه در شعر محمدرضا الشبیبی و نشان دادن اهداف وی از به کارگیری چنین هنری برای رسیدن به اهدافش است.

واژگان کلیدی: کنایه، الشعبی، عراق، شعر، طنز

١*. استادیار دانشگاه آزاد اسلامی، واحد آبادان، آبادان، ایران dr.karim5151@gmail.com
٢. دانشگاه آزاد اسلامی، استانداری ایلام، ایلام، ایران

تاریخ دریافت: ١٤٠٠/٠٤/١٧ **تاریخ پذیرش:** ١٤٠٠/٠٥/٣١

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
/http://cls.iranjournals.ir

السنة الرابعة عشرة ، العدد الثالثة والخمسون
ربيع ١٤٤٣
صص: ١٨٤-١٦٤

ورقه ابحاث

السّخريّة في شعر محمدرضاالشّبيبي

عبدالكريم البوغبيش*[١]، رحيم انصارى پور[٢]، عزيز عشميديان[١]

المخلص

كثيرا من الشعراءالعراقيين تطرقوا فى اشعارهم الى الوضع السائد و الحاكم على الشعب العراقى و مدى ظلم الحاكم و المحتل لبلادهم ونهجوا مناهج مختلفة لتبين ما حلّ بوطنهم العراق. و من هذه المناهج التى كان لها صدى مؤثر و فعّال فى نفوس العراقيين هو استخدام الشعر الساخر و قد برزالكثير من الشعراء الساخرون يتخذون من الشعر الساخر سلاحا للدفاع عن مبادئهم و تنوير افكارشعبهم المضطهد .ومن هؤلاء الشعراء محمدرضا الشبيبى الذي يعد من ابرز الشعراء العراقيين الذين وظّفوا السخرية في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية، الثقافية، الدينية والسياسية فى مجتمعه العراقى خاصة و قضايا الوطن العربي عامة.

إنَّ الشبيبى و أفكاره السياسيّة تجاوزت إطار العراق وشملت اطاراً أوسع واشمل وهوالإطارالعربي، فقد كبر الوطن في فكره ،وصورته على قلمه فهو لم يعد يبكي على الفرات فرداً بل بدأ يبكي على الجزيرة العربية بأكملها.وأخذ يسخر ممّا حلّ بالوطن العربي يسخر من القادة ، يسخرمن رجال الدين ويسخرمن العادات والتقاليدوما شابه ذلک.فهذه الدراسة اعتمدت على المنهج الوصفى- التحليلى في معالجة ملامح السخرية فى شعر محمدرضا الشبيبى و تبين اهدافه من توظيف هكذا فن للوصول الى غاياته.

الكلمة الرئيسية: السخرية، الشبيبى، العراق، الشعر، الساخر

١. استاذ مساعد، جامعة آزاد الاسلامية، فرع آبادان، آبادان، ايران dr.karim5151@gmail.com
٢. جامعه آزاد الاسلاميه محافظه ايلام، ايلام، إيران

تاريخ الوصول: ١٤٤٢/١١/٢٧ تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠١/١٣

۱. المقدمة

تمثل السخريه فنّا من الفنون الإنسانيّة التي تعبّر عن تطوّر المجتمعات البشريّة عبر التاريخ و السخرية هي نمط من أنماط الكوميديا و التي تنقسم الي أنماط عدّه مثل: الهجاء أو الدراما الهجائية (Satire). التي تهاجم العادات و الأخلاقيات و الأفكاروالموسّسات الإجتماعيّة بشكل يتّسم بخفة الدم (الظرف) و السّخرية أو التهكّم(Sarcasm).

وأمّاموضوع دراستنا فهو«السّخرية في شعر محمدرضا الشبيبى»،وكما نعلم يعدّ الشعر-بحّق-من أروع الألوان الأدبيّة الّتي أنتجتها قريحة الإنسان؛لما ينطوي عليه من المجالات الفنّيّة الخصبة الّتي لا تزال تنبض بالحياة والحيويّة .

وإنّما كان الشعر كذلک، لأنّه يستمدّ أفكاره و مضامينه من واقع البيئة الّتي يحيى فيهاالأديب، معبّراً عن الآمال و ألآلام ،من خلال أنصاره في بوتقة الواقع يتلقّى الأديب وحيه من خلاله.

وهذا مبنيّ على أساس من الصّلة القويّة الّتي تربط بين الأديب بوجهٍ عام والحياة في شتى مجالاتها،وهذا يعني أن أدب كلّ أمّة صورة واضحة المعالم لها في شتّى ظروفها وأحوالها.

و الحقّ ،أنّ ظروف الحياة السياسيّة في القرن العشرين و ما سبقه ،بما وجد فيها من إحتلال أجنبى بغيض ، ثمّ من فرض للحماية على البلاد ،ثمّ مشكلة الإمتيازات الأجنبيّة ،وما كان من قهر وإذلال للشعوب العربيّة عامّة و ما تبع ذلک من ظهور المشاكل الإجتماعية،والقضايا الفكريّة الّتي غصّت بها الحياة العراقيّة.

كلّ ذلک كان دافعاً قويّاً إلى صبّ الشّعراء العراقيين بصورة عامة والنجفيين بصورة خاصة جام غضبهم و سخطهم على عدوّهم و محتلّ أرضهم و من يمدّ يد العون إليهم ،من خلال منظوماتهم الشّعريّة الساخنة و الّتي بدأت « السخريّة»فيها فنّاً ادبيّاً متميّزاً.

۲. خلفية البحث

قد كثرت الدراسات الادبيّة التي تناولت ظاهرة الفكاهة و السخرية في الششعر العربى عامة و الشعر العراقي بصورة خاصة منها: سيّد مرتضى حسينى، ساجد زارع(۱۹۹۳ش)في مقال بعنوان« السخريّة فى شعر إبراهيم طوقان»حيث استعرضا في دراستهم بواعث السخريّة و ميزاتها و أساليبها فى شعرابراهيم طوقان مرتكزين على المنهج الوصفى ــ التحليلى .

ومنها: حامد صادقى؛ عبدالكريم البوغبيش«السّخرية عند الشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى» (۱۳۹۱)وجئ فى المقال بدراسة السخريّة بشتى اغراضها.

منها:رحيم انصارى پور،عبدالكريم البوغبيش،فاطمه عدنان محمد«السخرية في شعر محمدمهدى الجواهري»(۲۰۲۱م).

واخيرا:عبدالكريم البوغبيش«الهجاء والسّخريّة في شعرالشاعر المجاهد محمد سعيد الحبوبي»حيث درست قصائده و رباعيته و استخرجت الكثير من شعره الساخر الهادف.

أما بالنسبة لشاعرنا محمد رضا الشبيبيى فلم نجد دراسة تختص بموضوع السخرية ،فقامت مقالتنا هذه بدراسة هذا الفن الهادف عند شاعرنا ونظراًلعدم وجود دراسة مسبقة حول هذا الموضوع وجدناه جديراً بالدراسة .و تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي –الوصفي. ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الاجابة على الاسئلة التالية:

١-ما هي السخرية و ما هو مفهومها؟٢-ما هي دوافع السخرية عند الشبيبيى؟٣-كيف استخدم السخرية لتوعية شعبه؟٤-هل كان الشاعر صادق اللهجة في اشعاره؟

١،٢. مفهوم السّخرية

اولاً: المدلول الوضعي لكلمة السّخريّة:

أُطلقت مادة(سخر)-بإعتبار وضعهااللغوي–على عدّة معان،وهي:

١. الإستهزاء

جاء في كتاب العين: سَخِرَ منه و به سَخراً ، أي: استهزأ.

والسّخرية: « مصدر في المعنيين جميعاً ، و هو السّخْرِيُّ أيضاً و يكون نعتاً كقولك: هم لك سِخْرِيُّ و سخريَةٌ، مذكر و مؤنث. [مَنْ ذكّر قال: سِخريّ، و من أنّث قال: [سُخرّية]. و السّخْرةُ: الضُحكة».

(إبن احمد، ١٤١٤هـق: مادة «سخر».)

و قد وردت هذه اللفظة في كتاب إبن منظور:

« سخر:سَخِرَ منه و به سَخْراً و سَخَراً ومَسخَراً و سُخْراً ،بالضم،و سُخْرَةً و سُخرِيّةً :هزئ به، ويروى بيت أعشي باهلة على وجهين:

إني أتتَني لسانٌ، لا أُسَرُّبِها مِن عَلْوَ، لا عَجَبٌ منها و لا سُخْرُ

(ابن منظور١٩٩٨م:مادة«سخر»)

ويروي : و لا سَخَرُ،قال ذلك لما بلغه خبر مقتل أخيه المنتشر و التأنيث للكلمة. قال الأزهري: و قد يكون نعتاً كقولهم :هم لك سُخِريٌّ و سُخريةٌ ، و مَنْ ذكّر قال سُخِرياً و مَن أنّث قال سُخريّةً .الفراء : يقال سَخِرتُ منه، و لا يقال سخرتُ به. قال الله تعالى : لا يَسْخَر قومٌ من قوم . و سَخِرتُ من فلان هي اللغة الفصيحة.و قال الراعي :

تَغَيّرَ قومي و لا أسخرُ و ما حُمَّ من قدَرٍ يُقْدَرُ

(المصدرالسابق)

الجوهري : «حكى ابو زيد سخرت به، و هو أردَأ اللّغتين . و قال الأخفش: سخرت منه و سَخِرتُ به، و ضحكتُ منه و ضحكتُ به، و هزئت منه و هزئت به، كلٌّ يقال ،والإسم السّخريّةُ و السّخريُّ و السّخريُّ.

و السّخرةُ: الضُحكَةُ . و رجل سُخَرَةٌ : يَسخَرُ بالنّاس ، و في التهذيب: يسخر من النّاس . و سُخَرَةٌ : يُسخرُ منه، و كذلك سُخريّ و سُخريّة، مَنْ ذكّره كسر السّين ،وَ مَنْ أنّثه ضمها».(إبن منظور ،١٩٩٨م،مادة «سخر» .)

٢. القهر

وتطلق كلمة السّخريّة-أيضاً-ويرادبها :القهر.

يقول إبن منظور: و السّخرة: ماتسخّرت من دابة أوخادم بلا أجر ولاثمن. و يُقال سَخَرتُه،أي:قهرتُه. وتسخّرت من دابة لفلان، أي ركبتها بلا أجر. ورجُلٌ سُخرة: ويُسخر فى الاعمال، ويتسخّره من قهره.وسخَّره تسخيراً: كلّفه عملاً بلا أجرة أو كُلفة ما لا يريد وقهره، و كل مقهور مدبر لايملک لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلک مُسخّر. (إبن منظور ،١٩٩٨م:مادة «سخر» .)

٣. الضحک

من المعاني الّتي وضع لها لفظ السّخرية-أيضاً-الضحک.

يقول صاحب اللسان:السّخرة:الضحكة.ورجل سُخَرَةٌ: يسخرمن الناس.ورجل سُخرةُ بسكون الخاء كي يسخرمنه الناس. (المصدرالسّابق:مادة«سخر».)

ومماسبق يتضح لنا :أنّ مادة السّخرية تدور فى المعجم العربى حول عدة معان وهي:الاستهزاء، والهزء، و التذليل، والضحک..

ثانياً: المدلول الاصطلاحي للسّخرية

السّخرية صفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة الّتي تُثير الضحك لدى النظارة أو القُرّاء.

نجد في هذا التعريف أو في أيّ تعريفٍ آخر للسخرية أنّ كلمة «الضحك»ملتصقة دائماً بالتعريف، فمن هذا المنطلق علينا تحديدُ و تَبيِنُ هذه المفردة. لو راجعنا تعاريف المنطقيين للانسان لوجدنا في إحداها يعرّفون بالإنسان:

«الإنسان حيوانٌ ضاحكٌ» و يجعلون الضحك صفة يتميّز الإنسان بها دون الآخرين .

و يرى البعض السّبب للضحك ،انّ الضحك صورة ناتجة عن المفارقة المفاجئة بين الحالة الرّاهنة و الحالة الّتي يجب أن تكون و لا نتوقّعها . و هناك نظريات تدور حول فكرة كون الضحك نتيجة لإدراك التعارض الواضح بين أمر متوقع مألوف و حقيقة غير متوقعة، شرط ألا ينتج ذلك ضرراً بليغاً،مثل إنزلاق الشّخص بقشرة موزٍ دون لحاقة الضررالبليغ.(العقاد، لاتا:٢٦)و قد اختلف النقّاد في ماهية هذه الصفة: فكان بعضهم يقول، إنها منسوبة إلى

عيب أو تشويه في أمر ما لا يصل إلي مرتبة الايذاء أو الايلام، فالضحك عند هم تعبيرٌ عن استهزاء مُلطَّف ينتج عن اكتشاف نقطةِ ضعفٍ لدي الغير يعتقد الضاحك أنه لا يتَّصِف بها. (غراب ، ٢٠١٠م:٨٩)]]

فالسّخرية هي الشّعر أو النثر االّذي يقال باسلوب ساخر لبيان معايب و مفاسد و رذائل الفرد أو المجتمع، و على حدَّ قول آخر : السّخرية عِقابٌ اجتماعي غايتها الاصلاح و ليست إيذاء الآخرين . و الضحك لا يفارق السّخرية ابداً، دون أن يصبح غاية لها.

دوافع السّخريّة وبواعثها

في كل فترة و زمان، نجد جماعة من الناس يشتهرون بالظرافة و الفكاهة و الاريحيّة، و يحاولون أن يجعلوا من هذه الفنون تسلية للأخرين دون أن يبحث أحد في غايات أوبواعث هذا العمل .

لهذا يجب على كل من يريد أن يتعمَّق في هذا المجال أو يكتب بحثاً علمياً عن البواعث للجوء إلى هذا الأسلوب من البيان ،أن يجدَ جواباً لبعض الأسئلة، مثل:هل الغاية فردية أم جماعية؟ أو هل الغاية في كتابة هذه النصوص سياسية أم اجتماعيّة أو لها أسباب أخري؟ فعلينا أن نبدأ خطوة خطوة من البداية، فنقول: السّخرية لونٌ من الهجاء و لكن بفارق، و هو أن للهجاء لساناً حادّاً و مرّاً و نحن لا نجد في السّخرية الصراحة الموجودة في الهجاء، و من جهة أخرى، الغاية في السّخرية هي الاستهزاء من شخص في حالة جَعْلِ الشّخص اضحوكة للآخرين مع الاستحقار.

و من ناحية أخرى، السّخرية ليست لفظة تعادل لفظة الفكاهة و إن كان قاسم مشترك بين هاتين اللفظتين وهو الإضحاك، و لكن يوجد فرق هام بينهما و هو: الغاية في الفكاهة هي الإضحاك لاجل الضحك فقط، و لكن الاديب السّاخر يهدف في وصفه الناس و الأحداث إلى استدرار الضحك و قد يكون له من وراء ذلك هدف وغاية، هي محصّل مزاجه الخاص أو تجربته في الحياة، كأن يرى تقاليد المجتمع ما لا فائدة تحته، أو يرى في المثل الخُلقيه رياءً و اصطناعاً ينبغي تدميره، من خلال السّخرية. إذاً السّخرية وسيلة لأجل الوصل للغاية و ليست هي بغاية.

و يهدف الأديب السّاخر من خلال كلامه شخصاً خاصاً أو جماعة إو شعباً أو قوماً . و أحياناً يسخر الكاتب من بطله في كتاباته و يقصد من وراء ذلك أشخاصاً دون الّذين يوجدون في كتاباته و من المحتمل أن يسخر من نفسه لأجل الوصول للغاية . (صدقي، حامدوعبدالكريم البوغبيش، ١٣٩١ش:٣٤)

أهم دوافع السّخرية وبواعثها

١. المتناقضات

أكثرالامورتسير في الحياة على نظام واحد وثابت، فلا نشعرنحوها بغرابة أوشذوذ ، و لذا فنحن لانضحک من هذه الامور، لأن الشّئ المألوف لا يضحک، أماالشّئ الذى غايرالمعهود و المألوف ، فقد يثير إشمئزازاً، وقديثيرضحكاً؛ لأنه يعد نوعاً من فقدان التوازن وهذا الأمريدفع المجتمع إلى تقويمه وعلاجه عن طريق

السّخرية منه والضحک عليه ، والحياة مملوءة بالمتناقضات، هی کثيرةومتنوعة، نراها و نقع عليها فی حرکة الناس في الحياة، وفي احتکاک بعضهم ببعض.(غراب، ٢٠١٠م:٢٩)

٢. النقمة على المجتمع أحياناً

يتعدى الهجاء الاجتماعی السّاخرحدود الذات، ليشمل مساحات أوسع وأرحب من حياة المجتمع، فيصوّرما يعانيه هذا المجتمع من اضطراب أوقصورأو فساد«فهناک ضرب منه يصور نقمة الفردعلى المجتمع، و ثورته على ما يشهد فيه من اختلال فی المقاييس والقيم، ويرى أحد الباحثين أنّ هذا الضرب أکثر أنواع الهجاء تعقيداً وأعمقها تجربة إنسانية».(عيسى، لاتا:١٦٣.)

٣. فساد الواقع السّياسي والإجتماعي

لعلّ من أهم دوافع السّخرية :«فساد الحالة السّياسية والاجتماعية»وفساد الحالةالسّياسية في اي مکان يدفع أدباء ذلك المکان إلى السّخرية و التهکم، و إلى البحث عن جوانب النقص والعيوب، و ابرازها في صورة تثير الاشمئزاز؛ قصداً إلى العلاج واصلاح المجتمع المتهاوي.(غراب، ٢٠١٠م:٣٩)

أهداف السّخرية ومقاصدها

السّخرية فن أدبي رفيع، له أهداف ومقاصد يحاول — بشتّى الوسائل — أن يحقّقها، وهذه الأهداف والمقاصد تتفرع وتتشعب، وإن کانت لها في النهاية تومئ إلى غاية واحدة ، وإلى مقصد إنساني عام.

وقد أشار بعض النقاد والباحثين إلى بعض الأهداف وألغايات الّتي يتغياها فن السّخرية ، ويحاول تحقيقها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.ولعلّ من أهم هذه الأهداف والمقاصد ما يلي:

١-الرغبة في اصلاح المجتمع وتطويره ٢- نقد الواقع المتردّي ٣- الإضحاك

السّخريةفی شعر محمدرضاالشبيبی

نبذة عن حياة الشبيبی

هو محمد رضا جواد الشبيبي ولد في النجف عام ١٨٨٩على الأرجح (الخاقانی، ١٩٥٤، ج٣:٩.)، ولكنه ينتمي في الأصل الى منطقة الجبايش في محافظة ذي قار(الناصرية)، (شناوه، ١٩٩٥م ،ص 119.)وتلقّى دراسته في مدارسها الدينية، نشأ في رعاية والده الّذي کان أديبًا شاعرًا له ديوان ومجموعة من الرسائل سماها "اللؤلؤ المنثور على صدور الدهور حيث يقول الشبيبي نفسه عن مجلس والده:«ولم يزل ناديه من أبهج نوادي الأدب في النجف، تلقى فيه المحاضرات النافعة، وتجري فيه المناظرات المفيدة، والمذاکرات العلمية فهو مجتمع الطبقة العليامن المهرة الّذين يفعل أحاديثهم في الألباب ما لا تفعل السحرة»، (المصدر السابق، ص٢٣.)وهکذا فقد هيأ له المجلس مجال التعرف على عشرات الأدباء والعلماء والإمتزاج بهم ، و التأثر بآرائهم.(الخاقانی، ١٩٥٤، ج٣:٩.)

وقدأسهم الشبيبي في الثورة ضد الإنجليز، وأيّد الدستور العثماني (١٩٠٨) . وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، وزحف الجيش الانكليزي نحو بلاده، کان شاعرنا متطوعاً بقيادة العلامة السيد محمد سعيد

الحبوبي الى جانب الجيش التركي، وحضر معركة الشعيبة. ثم وقف - حين دخل الانكليز بغداد - في الحادي عشر من آذار من عام ١٩١٧م أمام «السير ارنولد ولسن» الحاكم البريطاني قائلاً :«ان العراقيين يرون أنّ من حقّهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً» ، وقد تولى مسؤولية مكتب النجف لجمعية الاتحاد والترقي الّتي عملت على إقامة حكومة وطنية. وكان وثيق الصلة بالبلاط الملكي الهاشمي، فلعب أدوارًا سياسيّة بارزة منها: سفرته إلى بلاد الحجاز لمقابلة الملك الحسين بن علي في إطار التأسيس للمملكة.

منحته جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب، تقديرًا لبحوثه في الأدب والتاريخ (١٩٥٢). ، وتوفي في بغداد سنة ١٩٦٥، ونعت اذاعة بغداد والعديد من الاذاعات العربيّة خبر وفاة الشبيبي وكتبت الصحف والمجلات العراقية قصائد ومقالات في رثائه ، وقد رثاه الشاعر المصري عزيزأباظة باشا في قصيدة طويلة جاء في مطلعها:

قمْ فأدِّ العزاءَ لِـلأسلامِ ... في زعيمٍ وَ شاعرٍ وَإمامِ

الشبيبيُّ أينَ ثاني الشّبيبيّ ... إذا طَمَت الخُطوبُ الدَّوامِي ؟

(شناوه، ١٩٩٥م:٤.وبصرى، ١٩٩٤م، ج١ :١٤٣)

أعماله الشعرية ومؤلفاته

خلّف الشبيبي العديد من الآثار يقف في مقدمتها ديوانه الّذي طبع في القاهرة عام ١٩٤٠م (والديوان عبارة عن نماذج اختارها المترجم له من شعره الكثير)، ، ويضمّ عدّة أبواب منها: الشعر الحماسي ،والشعر الحكمي، والشعر الإجتماعي والسياسي ،والرثاء ، وله مجموعة مراثٍ في زوجته تعدمن أجمل الأشعارالوجدانيةومن بين الأغراض النادرة في الشعر العربي،وقد نشرها الباحث قصي سالم عثمان في ذيل دراسته بعنوان: «الشبيبي شاعرًا» ، وهذه المجموعة بعنوان: «رنين على الأجداث»، كما وردت نماذج كثيرة من شعره ضمن كتاب: «شعراء الغري» (وأغلبها مما أسقطه الشاعر من ديوانه لأنه ينتمي إلى مرحلة البدايات الفنية) ، وله مؤلّفات منها: ابن خلّكان وفن الترجمة ،مؤرّخ العراق ابن الفوطي في جزئين، بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية ، التربية في الإسلام.

خصائص شعره

بدأ الشبيبي قرض الشعر في حدود الخامسة عشرة من عمره،و تميز شعره بأنه غزير متنوع الموضوعات، تقليدي البناء والغرض سار فيه على خطى الشعراء القدامى من الناحية الشكلية، كما يصرح بذلك هو نفسه في قوله:

عَاوَدَ الشِّعرُ بَعدَ طُولِ صُدودِ ... وَنَهَضنَا إلى تَعَاطِي القَصِيدِ

إن تَقَضَّت تِلكَ العُهودُ فَشِعرِي ... وَشُعُورِي مِن نَسجِ تِلكَ العُهُودِ

فِي قَديمٍ مِن الصِّيَاغَةِ إلّا ... أنّهُ حَازَ كُلَّ مَعنَىً جَديدِ

(الشبيبى، ١٩٤٠م:١٥)

وقد تأثر –كما يذكر هو نفسه- بالأقدمين مثل البحتري وأبي تمام والشريف الرضي وابن هاني وابي العلاء المعري ، ومن المحدثين بحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري و يحتل الرّثاء مساحة واسعة من شعره؛ فقد رثا شهداء الأمة في كل مكان (العراق ومصر وبلاد الشام)، كما رثا أساتذته و أصدقاءه، ومنهم الشيخ حسين القزويني، وله شعر في رثاء الإمام الحسين(ع).

السخرية في شعر محمدرضاالشبيبي

يعدالشبيبي من ابرز الشعراء العراقيين الذين ادركوا العصرالعثماني والعصر الحديث، وعند دراسة ادبه يلزم علينا أن ندرس جوانب شخصيةهذا الشاعرالفذّ السياسيّة والادبية ولا يمكننا الفصل بأي حال بين الجانب الأدبي والفكري لهذه الشخصية وبين جانبها السياسي ؛ فقد مثّل الشبيبي واحداً من اكبر الشخصيات الّتي لعبت دوراً اساسياً ومؤثراً في السّياسة العراقية في الفترة التي نشط فيها (العهد العثماني، عهد الاحتلال البريطاني (داغر، ١٩٨٣م:٦٠٨) والعهد الملكي وسنوات الأنتداب وحتى عهد تأسيس جمهورية العراق الحديثة) (١٩٠٨-١٩٦٥م) ، ويظهر دوره السياسي جلياً في المناصب العديدة التي تقلدها خلال حياته اعتباراً من وزارة المعارف وحتى مجلس الأعيان ومجلس النواب ودوره في حركة المعارضة فيه في العهد الملكي حيث عرف بالجرأة والصراحة وعدم الممالأة والمداهنة على حساب مبادئه ووطنه حتى«أنّ جرأته كانت نادرة ...لا ينافق ولايمالق ولا يداهي ولا يداجي، ولا يقول إلا ما يصح في معتقده، ولا يعتقد إلا ما يصح في رأيه » على حد تعبير احمد حسن الزيات. كما كانت له إسهامات سياسية خارج العراق تمثلت في رحلاته الى الأردن والحجاز، و يمكننا القول إن دراسة حياة الشبيبي السياسية هي في الحقيقة تسليط للضوء على مراحل هامة من تاريخ العراق السياسي.

وقد تأثر الشبيبي في أفكاره الإصلاحية والسياسية-كما كان حال معظم المثقفين الثوريين في تلك المرحلة- بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا التحررية الإصلاحية التي كانت تصل العراق عن طريق مجلتي«العروة الوثقى»و «المنار» وغيرهما. كما تركت ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨م تأثيراً كبيراً على الشبيبي ولا سيما مدحت باشا الذي كان العراقيون من اشدّ المعجبين به بحكم احتكاكهم المباشر بإصلاحاته في بلادهم، وكان أهم ما دفع الشبيبي الى الترحيب بثورة الإتحاديين هو ما علقه من آمال كبيرة عليها بأن تؤدي الى انعتاق العراق من مشكلاته الاجتماعية والإقتصادية والسياسية التي تفاقمت بصورة خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩) (شناوه، ١٩٩٥م:٣٥)فكان من شأن شعارات الإتحاديين (الحرّية والعدالة والمساواة)أن تهزّ وطنياً متحمّساً ومُخلصاً مثل الشبيبي ، ولكنَّ سرعان ما أصيب الشبيبي كأقرانه الوطنيين بخيبة أمل كبيرة من سياسة الإتحاديين التي إنصبّت في إتّجاهٍ قومي متعصب معادٍ للطموحات المشروعة للشعوب غير التركية في الإمبراطورية العثمانية.(عمران، ٢٠٠٩م: annabaa.org)

وقدعبَّر الشبيبي عن خيبةأمله تلك في قصيدته الرائعة المعنونة«في العراق»والتي نشرتها الصحف المصرية والسورية آنذك ونحن هنا نأتي بتلك القصيدة حيث يقول فيها:

أرَى مُهجَتِي بَل مَاءَ خَدّكَ ذَابَـا ... مَـعاً لُطفَاً ، وَهيَ فِيكَ عَذابَا
دَعَا فَأجابَ الوَجدُ قَلبِي فَـمَا لَـهُ ... دَعَاكَ فَكانَ الصّدّ مِنك جَوابَا
تَغَابَيتَ يَا قلبِي وَلَيسَ بِنافِعٍ ... حِذارَ الهَوى يَا قَلبُ أن تَتغَابَى
ضَعُفْتَ عَلَى بدرٍ تَوَطّنَ كِلّةً ... وَقَد كُنتَ ضِرغامَاً تَقَيَّلَ غَابَا
جَنَيتُ شَبابِي في بِلادِي كَمَا جَنَتْ ... عَلَى القَلبِ أهوَالُ البِلادِ فَشَابَا
بأيّ كتابٍ أم بأيّةِ سنّةٍ ... يُبيحُونَ ظُلمِي سُنّةً وَكِتَابَا ؟
فَيَالَكَ صَوتاً كَانَ طَائِرُ يُمنِهِ ... يُردِّدُ وَرقاءً فَردَّ غُرَابَا.

(الشبيبى، ١٩٤٠م:٥و٦)

إذا أمعنا النظر في الأبيات الواردة أعلاه نلاحظ مدى ألم الشاعر وتذمّره بالنسبة إلى الوعود المعطاة من قبل الإتحاديين والّتي لم تفِ بها تلك الزمرة السياسية، فنرى الشاعر يأتي و يشكو قلبه المخدوع بلهجة ساخرة نابعة من ألم شديد أصيب به عبر تلك الخيبة الّتي حلّت به، ونراه يجعل صفة الغباوة على قلبه حين يخاطبه قائلاً:

تغابيتَ يا قلبي وليسَ بنافعٍ ... حِذارَ الهوى يا قلبُ أن تتغابى
ضَعُفْتَ على بدرٍ تَوَطَّنَ كِلَّةً ... وقد كنتَ ضِرغاماً تَقَيَّلَ غابَا

(المصدر السابق:٥و٦)

وأيضاً الاسد الملك المفترس يصبح فريسة يصطاده اضعف الضعفاء ،وهذه لربما شئ من ملامح الشاعر الساخرة حيث يجعل الملك مملوكاً ،والمملوك ملكاً.

و نلمس الخيبة جلية واضحة عندما يذكّرهم الشاعر باقاويلهم و وعودهم المبشرة بالخير ولكن لم تكن تلك الاصوات إلا نعيق غربان تبشّر بالخراب حيث يقول:

فيالكَ صوتاً كان طائرُ يُمنِهِ ... يُرِدّدُ وَرقاءً فَردَّ غُرابَا..

(المصدر السابق:٥و٦)

نعم تبدو لهجة الشبيبى في مثل قصائده هذه حزينة، باكية، إلّا أنّ المتخصصين في شعره يرون في ذلك«دفقةألم، و زفرة ثأر فيها تفاؤلية وحثّ للهم، وتوحيد للجهود من اجل الغاية المنشودة»التي كان المشرق العربي يسعى إلى تحقيقها آنئذٍ.(شناوه، ١٩٩٥م:٣٩) وهو في ذلك اراد أن يبعث الهمم في نفوس الشعب ،فقد قارن حاله بماضيه يأمل أن يتحوّل ذلك إلى «أول بوادر النقمة والثورة»على ا لوضع المزرى

الذي استوحى افكاره عنه من صور الحياة في النجف والكوفة والحلة والديوانية، ومنطقة الفرات بصورة عامة،فكان في ذلک «صورة واضحة لما مرّ بالعراق من حوادث،و وصفها وصفاً صادقاً،وكان سجلاًّحيّاً للحياةالاجتماعية والسياسيّة»في تلک المرحلة. (عزالدين، ١٩٦٧م:١٢٧و١٢٨)

إنَّ الشبيبى و أفكاره السياسيّةتجاوزت إطار العراق وشملت اطاراً أوسع واشمل وهوالإطارالعربي، فقد كبر الوطن في فكره، وصورته على قلمه فهو لم يعد يبكي على الفرات فرداً بل بدأ يبكي على الجزيرة العربية بأكملها.وأخذ يسخر ممّا حلّ بالوطن العربي يسخر من القادة ،يسخرمن رجال الدين ويسخرمن العادات والتقاليدوما شابه ذلک.

وفي خضم كلّ ذلک يبحث الشبيبى عن الموجهين الذين أرادهم أن يكونوا مؤمنين بأفكار الإصلاح، ويحزّ في نفسه أنّ عدد «دعاة الإصلاح» فى وطنه ما كان «يتعدى الآحاد» من أرقامه كما ورد في قصيدته المعنونة«درس آلآم».(شناوه، ١٩٩٥م:٣٩)التي نشرها في صحف بيروت قبل الحرب حيث يقول فيها:

نَومٌ طَفيفٌ وَيَقظَاتٌ مُـرَوّعة ٍ لله حَـالة ِإصبَاحِي وَإظلَامِي
قَدكُنتُ أحَسَبُ أنَّ الحُلکَ مِن زَمنِي هَـذَا لَيالُيَّ فَاحلَولَكَنَ أيّامِي
أكلّمـا رُفـعِت للحقّ ألوية ٍ كـرَّت لِتتخذُلَها رَايَاتُ أوهَـام ِ
العِـلمُ عِلمُ خُرافَاتٍ وَشَعوَذَةٍ وَالدِّينُ دينُ مَنامَاتٍ وَأحـلَام ِ
مُوَحّـدُونَ وَلـكِن عَزَّ أنّـكُم نِمتُم وَقَد نَهَضَت عُبّادُ أصـنَام ِ
وَإنَّ مَا بَيـنَ آرائِـي وَ بَينَكُم بُعداً كَما انفَسَحَت أبـعادُ أجرَام ِ

(الشبيبى، ١٩٤٠م:٢١)

نلاحظ فى الأبيات المذكورة كيف يسخرالشاعر من العادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي من خرافات وتقاليد زائفة لا جدوى من وجودها و يعتقد بأنّ هذه الأفكار الخرافية هي سبب النّكسة التي منيت بها الشعوب العربية، فالعلم علمُ خرافات وشعوذة ويذكر بأنّهم نائمون عن التطورالعلمي وقد نهضت شعوب تعبد الأصنام لتستبق من أجل الحصول على العلوم، وبقيت شعوبناموّحدةمتمسكة بدينها غارقة في أحلامها ويستثني الشاعر نفسه من هذه الشعوب لأنّ الدّين لا يكون عائقاً في طريق العلم بل دائما يحث على العلم والتعلّم.

وثمّ نراه يندّدبمافعله الرومان في الشرق فيصف فعلتهم تلک بفعلةأنذال حيث يقول :

أ أبناءَ (رومة) مَهلاً إنَّ فَعلَتَكُم فِي الشَّرقِ ِفَعلة ِأنذَالٍ وَأقزام ِ

(الشبيبى، ١٩٤٠م:٢٢)

ثمّ يدينهم على ما كانوا يدّعون بأنهم أتوا طرابلس من أجل تنوير الافهام والعقول فيخاطبهم قائلاً:

يَا قَاذِفِينَ «طَرابلُساً» بِنائِـرَة ٍ وَطَالِبِين لَهَا تنويرَ أفهَام ِ

ألا حَملـتُم لَهـا آلاتِ مَعـرِفَةٍ كَما حَمَلتُم لَهَا آلاتِ إعدَام ِ
مَا خَلّف الغَربُ فِينَا مِن حَضَارتِهِ إلا بواعث إرهاق وإرغام

(المصدرالسابق:٢٣)

ثم نرا ه في قصائد أخرى يبحث عن القائد الذي يريده أن يكون جديراً«يقود، ولا يقادمثل الزعانف» كما هم قادةالشرق الذين لا«تنتهي مخازيهم»فيشكوالسماء لأنّ الرجال «ما بهم رجل». (شناوه، ١٩٩٥م:٣٩)

ولإلقاء الضوء على ما قلناه نأتي بابيات من أروع قصائده المعنونة«دمشق وبغداد»والّتي نظّمت قبل سنتين من إحتلال الفرنسيين للشام،فقال الشاميون« لقد صحّ الآن مضمون هذه القصيدة »وقد دعيت في المحافل الأدبية بـ «القصيدةالباكية»:

مَاذَا بِنَا و بِذِى الدِّيار ِيُرَادُ؟ فُقِدَت دِمشقُ وَقَبلَها بَغدادُ
سَاءَت وَقَائِعُها وَ مَا سَرَّت بِهَا لَا الهِجرَةُ الأولَى، وَلَا المِيلادُ
وَرَدَت مِياهَ الرَّافِـدَين ِمُغِـيرَة ً شُقرٌ مِن القُبِّ البُطُون ِوِرَادُ
هُجنٌ طرَدنَ مِن الجِيادِ كَرَائِـماً عَرَبِيَّة ًفَكَـأَنَّهُـنَّ جِـيادُ
حَالَ العُلوجُ مِن الأحَامِرِ بَينَـنَا وَتَعَذّرَ الإصدَارُ وَالإيـرَادُ

(الشبيبى، ١٩٤٠م:٣٣)

لقدسخرالشاعر من المحتلين وشبههم بالعلوج إستهانة بهم وتحقيراً لهم وكما نعلم عندما يراد السخرية من شخص فيشبهونه بالحماروأمثال الحمارمن العلوج،فهذه إحدى صور السخريّة المستفادة عند الشعراء العرب ليحطّوا من شأن أعدائهم.ولايسعناالإتيان بالقصيدة كاملة ولكن سنشير إلى ما ورد من أبيات تلمح إلى السخرية والتندر،وعند تفحصنا للقصيدة وجدنا الشاعر كثيراً ما يشير إلى عدم قدرة العرب للتصدي إلى هجمات اعدائهم فهو يرى العواصم العربية تغزى يوماً بعد يوم ،وقد تنبّأ الشاعر بسقوط دمشق قبل سقوطها بسنتين كما تلاحظون،وقد شاهدنا الشاعر يأتي بامجاد الأولين وفضائلهم ويذمّ الجيل الجديد ويعدّهم من الخائنين وها هي الابيات المراد ذكرها:

غَدت العَواصِـمُ خِطة مَغزُوَّة ً لَا الخَيلُ تَعصِمُهَا، وَلَا الأجنَادُ
لَا(آلُ حَمـدَان)وَلَا أيَّامُـهُم فَيها لِهَاتِيكَ الثُّغورسِـدادُ
رُزِئَ الصَّلاحُ صَلاحُ دِين ِمُحَمّدٍ وَالفَاتِحَانِ(مُحمّدٌ)وَ(مُـرَادُ)
خُنَّا ذِمَامَ الفَاتِحِين وَعَهدَهُم مَا هَكَذَا تُستَنجَـب ُالأولَادُ
وَيَهزُّنِي عَصرُ العِرَاق ِنَسوسُهُ (لَحمٌ)وَ(آلُ مُحرِّق)وَ(إيـادُ)

(المصدر السابق:٣٥)

وعلى الرغم من إجلاله للدين،النابع عن إيمان المؤمن العليم،وعن نشأته«نشأة دينية بحتة» فإنّه «كثيراًماكان يهاجم رجال الدين»عندماكان«يجدهم اصبحواحجرعثرة في سبل التقدم». (عزالدين، ١٩٦٧م:١٤٥)

إنّه اراد أن يفهم القوم أنّ الدّين ليس «عادات معطلة»بل إنّه «تحليل وتحريم»، ونراه في هذه القصيدة يتذمر من علماء السوء الذين وردت بذمهم الآثار،والزعماء المنقادين من قِبل المستعمرين فيشبههم بالزعانف وهذا من باب السخرية لأنّ الزعانف من الجماعة ،الذين لا يُعلم لهم أصلٌ :

جَارَت عَلينَا عُصبَة ٍرُوحِيَّة ٍ شَقِيَت بهِم الأرواحُ وَالأجسَادُ
وَعَظَت شُيوخ ٍلَو أصَابَت لَأرعَوَت وَلَنالَ مِنهَا الوَعظُ وَالإرشَادُ
شَرَعٌ سَوَاءٌ مِن شُيوخٍ آمَنُوا إيمَانُهَم وَالجَحدُ والإلــحَادُ
ذَهَبُوا بِدَعوَى فِي الصّلاح ِعَرِيضَةٍ أنّ الصَّلاحَ مِن الشُّيوخ فَسَادُ
لَا يَحسُدُونَ عَن المَعَالِي أمّــة ٍ وَ هُم -عَلى عِلّاتِهِم -حُسَّــادُ
إنَّ الزَّعَامَة َسُلِّمَت لِزَعَــانِفٍ فِي الشَّرق ِقَادُوا أهلَهُ فَانقَادُوا

(عزالدين، ١٩٦٧م:١٤٥)

وفي هذه الأبيات التي ذكرنا نلاحظ الشاعركيف يسخر من بعض رجال الدين الذين يسمّيهم بالعصبة الروحيّة ويشبههم بالقرود التي تعتلي الأماكن المرتفعة،فهولاء الذين يعتلون المنابر ويعظون الناس، هم أُناس أشقياء لا جدوى ولا نفع من خطبهم لأنهم يدعون الناس إلى الكساد لا إلى الكمال ،والدليل على ذلک واضح في ما ذكرناه من أبيات.

ولقد؟أستغل المتطفلون على الدّين هذه الخرافات وغاصوا في لجة المكائد، وركبوا سفن الزيف والتضليل، فئة شقيت الارواح بها وبانت نقائصها، وتباكت الدّين وهدفها خدع البسطاء، فيشق على الشبيبي كعالم ديني أن يرى هؤلاء الدّعاة، يفسدون العقول والضمائر، فيأخذ على عاتقه الاصلاح ويعلن صوته داعياً إلى الحذروالانتباه من هذه الزّمر الدخيلُة الّتي لا تريد بالشعب تطوراً وزهوّاً.

ويرى الشبيبي أن رجل الدّين ينبغي أن يكون مثالاً للتسامح واستيعاب آراء الآخرين لا أن يكون من عوامل إثارة التناحر والإختلاف ،حيث يقول في ضرورة التآخي بين أفراد المجتمع البشري على اختلاف طوائفه وقومياته وأفكاره:

وَأرَى مِن الإنسانِ أعجَبَ مَا أرَى جِنسِيَّة ِمَنعتُهُ أن يَتَواسَى!
لِمَ لَا تُشبَّهُ بِـالحُقُول يَزيـدُها لُطفاً تَجَمُّعُ وَردِهَا أجناسَا
يَا لَـيت مَن جَعَلَ التّبايُنَ زِينَة ٍ لِلوَردِ قدَّرَها تَزِينُ النّاسَا

(الشبيبي ١٩٤٠ م:٩٠)

أجل، إنّ الدّين في نظرالشبيبي لم يكن «عادات معطلة، لذا فإنّه أدان بقوة وقناعة التقاليد البالية والخرافات، فهي الّتي أدّت إلى تأخّر الشعب فكرياً، وإنحطاطه ثقافياً، وهي التي تؤثر سلباً على مسار النضال من أجل التحرّروالإنعتاق. يضع الشبيبي، مع ذلک، وغير ذلک، الدّين في المقام الأول بالنسبة لكل شئ أساسي في حياة المجتمع ، فيرفض أن يكون غير الدين محوراً لكل مافيه خيره ، و سؤدده ، فالأخلاق عنده تستقيم بالدين.

وقد إمتاز الشبيبي في شعره بصدق اللهجة ، حتى يمكن القول إنّ شعره مرآة لنفسه وتوجّهاتها ، وهو من جملة الشعراء ذوي النزعة التقليدية ، تناول في شعره قضايا وطنه الأكبر العالم العربي ، فدافع عن هذه القضايا وانتصر لها ، وحاول أن يستنهض شعبه ضد الإستعمار والإستبداد، ونظر إلى القضايا والأحداث المحيطة به نظرة وعي وتفتّح بعيداً عن التعصّب الديني والمذهبي والمقاييس الضيّقة والنظرات السطحيّة ، مستعيناً في ذلک بلغته الشعرية الصادقة التي نلحظ فيها الشيء الكثير من متانة الماضي وجزالته وإشراقة ديباجته ، وروعة الحاضر والتفاعل مع بيئته العراقية والعربية والإسلامية ، كما يتجلّى لنا ذلک بوضوح في قوله مخاطباً المتخاذلين الذين باعوا وطنهم وارتضوا لأنفسهم الذلّة والعمالة مقابل السلطة والنفوذ والمال .وبالجملة فإنّ المحتوى السياسي والإجتماعي هو الغالب على شعر الشبيبي، وكان شعره بمثابة سجل دوّن فيه بدقة وأمانة وانطلاقاً من وطنيته وإخلاصه أحداث العراق وشخصياته، مما يجعله في بعض الأحيان أقرب إلى التاريخ والسياسة من الأدب ، وينوّه جعفر الخليلي إلى هذه الخصوصية التي تميز بها شعر الشبيبي في قوله:«والشبيبي من أكثر من عرفت من يربط الحوادث بأصحابها فإذا رأى شخصاً ، ولو بعد فراق طويل، استعرض فيه كل ما مرّ من حوادث ذات ارتباط بالتاريخ أو الأدب أو السياسة ،ولذلك حوى صدره العدد الكبير من الحوادث والوقائع،فحفل ديوانه بما يطيب من القصص، وبما يبهر من الأدب، ومايفيدمن وقائع السّياسة، ويكشف عن المعمّيات مما يكتشف تراجم الرجال». (الخليلي، ١٩٦٣، ج٢:.٦٦)

كما أولى الشبيبي اهتمامه بالقضايا الإجتماعية ومنها ثورته على الأغنياء في قصيدته «رفقاً بنا» التي حمل فيها على الأثرياء وجشعهم وتهالكهم على حطام الدنيا ، وحذرهم من ثورة الحق عليهم ، ففيها لم يرَ الشبيبى أوجهاً مثل أوجههم«كوالح لم تبتسم للمنى»، أوجهاً لا تسثيره االبائسات«فرادى تمرّ بها أو ثنى»، وعلى الرغم من أنّه دعا الله أن يخفف من هؤلاء النّاس، واستهزأ منهم لأنّهم لايفهمون لمن يكنزون حطام الدنيا، و يصونون أموالهم«عن دواعي الوجود»و«يفنونه في دواعي الفناء»إلا أنّه توع ثورة الحق عليهم وعدّ نفسه ضمن الثائرين ضدّهم.(شناوه، ١٩٩٥م، ص ٤٠) حيث يقول في هذه القصيدة التي نشرتها جريدة البيرق البيروتية قبل الحرب العالمية الأولى:

لِمَن- خَفَّفَ اللهُ أطمَاعَـكُم- لِمَن تَكنِزُونَ حُطامَ الدّ نَى ؟
لِنَقض اِلهُدَى وَ إقَامَ الضَّلَالِ وَ طَيّ ِالعَفَافِ وَ نَشر اِلخنَا
وَ لَم أرَ مِثلَ غِواةِ النّـضَارِ ِ وَ لَا مِثلَ مَعدَنِهِم مَعـدِنَا
يَصُونُونَهُ عَن دَوَاعِي الوُجُودِ وَ يُفنُونَهُ في دَواعِي الفنَا

وَ لَا مِثلَ أوجُهِهِم أوجُهَاً كَوالِحَ لَم تَبتَسم لِلمُنَى
يَقُولُونَ مَن هذا الفَقِيرُ فَهَل قَالَ قَائِلُهم:مَن أنا ؟
وَيَستَعذِبُونَ عَذابَ المُقِلِّ جَزاءً علَى غَيرِ مَا قد جَنَى
أَمَا تستَثِيرُكمُ البَائِسَاتُ فُرَادَى تَمُرّ بِكُم أو ثُنَى ؟

(الشبيبی، ١٩٤٠م،ص١٠٩و١١٠)

يأتي الشاعر في بدايةهذه القصيدة بإستفهام إنكاریّ من هؤلاء الذين يكنزون أموالهم ،و يوجّه لهم نقداً ساخراً نجده من خلال ما ضمنته الأبيات من معانٌ لما نروم إليه،فهؤلاء الأثرياء يجمعون المال لحطامٍ دنيويٍّ لا ثبات له،فشاعرنا يجعلهم عرضة لنقده ويذكر أنّهم هم الذين يشوّهون وَجه الحياة،ثمّ يقول لم أرَ معدن كمعدنهم، ويقصد الشاعر ذمّ معدن هؤلاء لا مدحهم،ونجد صور السخرية كامنة في العديد من الأبيات التي ذكرنا ها،وإداركها يحتاج إلى شئ من الدّقة و الإمعان .

الجانب الفكری في شعر الشبيبی

الفكر، سمة من سمات الشاعر المجدد، وقد طبعت هذه السمة أغلب شعره، فهو يرى مثلاً في الظلم أقبح صفة يتخلق بها الجائرون الظالمون، فحزّ ذلك في قلبه، وهو يراهم يعملون ما يشاءون،فيشير في إحدى قصائده المعنونة«الحبّ الطاهر» إلى ما يقومون به فيقول فيهم:

أمَا لِأسيرٍ فِي هَواكَ سَراحُ وَ هَل لِتَبَاريحِ الفُؤادِ بَراحُ ؟
يُحبُّونَ وَخزَ النُجلِ وَهيَ صَوارِمٌ وَ طعنَ القُدودِ الهيفِ وَهي رِمَاحُ
يَقُولُون: إتيانُ الكَبَائِرِ جَائِزٌ وَفِعلُ الخَطايَا المُنكرَاتِ مُباحُ
أ في هَذهِ الأخلاقِ لِلجِنسِ نَهضَةٌ وَ للبَشرِ الآتِين مِنه فلاحُ ؟
وهل فاضلٌ يرعى الفضيلةَ ؟إنّها خَيالٌ سَيَفنَى،أو حِمَىً سَيُبَاحُ

(الشبيبی، ١٩٤٠م:٤٠)

هكذا نرى الشبيبی كيف ينتقد سياسة العثمانيين و يسخرمن الوضع اللامستقر فی البلاد،فهويحاول باشعاره هذه استنهاض الهمم والتصدّي لظلم الطغاة والتحريض على الثورة ضدّ الإتحاديين فقال في ذلک:

يُسَامُ العِراقُ الذُّلَّ وَهيَ عَزِيزَةٌ وَيُخرَسُ أهلُوهُ وَهُنَّ فِصَاحُ
أسُكّانَ أجوَازِ العِراقَينِ هَل لَكُم نُزُوعٌ إلى نَيلِ العُلا وَ طِماحُ ؟
فَلا تضعُفُوا إنَّ السَّعادةَ قوَّةٌ وَلا تَجبُنُوا إنَّ الحَياةَ كِفَاحُ
نِيَامٌ وَلَكِنَّ البَطَالَةَ مَرقدٌ وَ شَربٌ وَلَكِنّ الجَهَالَةَ رَاحُ

(المصدر السابق:٤١)

ولقد بلغ من تعسف الأتراك وظلمهم حداً بحيث إن أبناء الشعب العراقي اضحوا يفضلون — من باب تفضيل السيء على الأسوء والإضطرار الى اللجوء الى المرّهرباً من الأمرّ منه كما يقول المثل الشعبي- الإحتلالَ الإنجليزي على استبداد الأتراك وممارساتهم القمعية وبطشهم بأحرارالأمة فضلاًعن حالة الفقر المدقع الذي عانى منه الشّعب العراقي الأمرين أبان حكمهم ، وذلك ضمن سيناريو ربما تكرر قبل فترة ليست بالبعيدة، حيث يقول الدكتور علي الوردي في هذا الصدد:

«يمكن القول إنّ معظم العراقيين ،ولا سيما أهل المدن منهم إستقبلوا الإحتلال الإنكليزي عند أول دخوله بالإبتهاج والترحيب،وذلك لشدة ما عانوه من الحكومة التركية خلال فترة الحرب من مشاق وبلايا وآلام. حدثني أحد المسنين عن تلك الأيام فقال: إننا كنا في بداية الحرب نجتمع في المسجد ندعو الله أن ينصر المسلمين على الكفار، فقد كنا حينذاك تحت تأثير حركة الجهاد التي كانت في أبانها، ولكننا في أواخر الحرب صرنا ندعو الله أن يهلك الأتراك، وينصر الإنكليز عليهم استناداً إلى القول المأثور: الكفر يدوم والظلم لا يدوم».(الوردى، ١٩٧٧م:١٢و١٣)

وللشبيبى ثورة على الاتراک وفى هذه الثورة شكوى وعتاب و كلام لا يخلو من تهكّم وسخرية حين يقول:

لا الجُبنُ ثَارَفَأطغَانَا وَ لَا البُخْلُ ... الثائِرُالحِقدُ بِالأقوَام ِوَالدَّخلُ
مَاذا نُؤمِّلُ في إدرَاکِ غَايتِنَا ... مِن السّيَاسَةِ ؟ كَلّا إنّهَا حِيلُ
جَفَوتُمُونَا وَقُلتُم:نَحنُ سَاستُكُم ... مُنَىً مَطيتُها الإخفَاقُ وَ الفَشَلُ
أمَا أستُجِيشَت كَما شِئتُم كَتائِبُنا ؟ ... حَتَّى تَقَايَضَ مِنهَا السَّهلُ وَالجَبَلُ
أمَا أطَاعُوا ؟أمَا بَرُّوا ؟أمَا عَطَفُوا ؟ ... أمَا احتَفَوا بِمَوالِيهِم ؟أمَا احتفلُوا ؟

(المصدرالسابق:٢٧و٢٨)

نرى الشبيبى فيما ذكرناه يهجم على الاتراک و أنزل من شأنهم واستهزأ بهم ،ويحاول إفهامهم بأنّ ماقام به النجفيون كان قيام أبطال لا يعرفون الخوف ،ولقد قربوا البعيد بامجادهم ،باسيافهم، ولكن ها هي السياسة كلّها حيل مخادعة و لقد خُدع الشعب بالسّاسة، ويستسأل الشاعر بأنه ماذا يؤملون لإدراک غاياتهم من السياسيون، فهولاءالسياسيون كثيراًما يقومون بخداع الشعوب بألسنتهم الخلّابة، فيندّدهم وينتقدهم الشاعر على ما يأتون به الشعوبَ ،ويهزأ منهم بطريقة إستفهامية ويذكّرهم بما قام به الشعبُ من أجلهم، ثمّ يطالبهم بعدم تجريح أكبادهم التى لم تُشفَ بعد من تلک النكسات التي مُنِيَ به العراقييون .ونراه في مكان آخرمن القصيدة يصرخ بنبرة متألّمة متهكّمة ،يسائلهم بأموال ذهبت هباءً وإخوان حُكم عليه بالإعدام دون إغتراف أيّ ذنبٍ سوى الدفاع عن مبادئهم ،فيقول:

أينَ الرهينُ بأموال ِلَنَا ذَهَبَت ؟ ... وَ مَن يَقيدُ بإخوان ِلَنَا قُتلُوا ؟
إمّا شَهيدٌ مُعلّىً فَوقَ مِشنقةٍ ... أو مُوثقٌ بِحِبال ِالأسر ِمُعتَقَلُ

(المصدرالسابق:٤٥)

هذا ما لمحناه من أوجه الإنتقاد والسّخرية في قصيدة «ثورة على الاتراک»،فشاعرنا دائما ما يستنهض الشعب للقيام بوجه المحتلّ ولكن هذه النهضة التي يتطلع لها الشبيبي لابدّ أن يُساهم أبناء شعبه فيها، إلّا أنّه يرى شباباً لا يدركون معنى الإصلاح وقيمة الفكر التجديدي، وشيباً عاجزين عن فعل شيء، فيصرخ قائلاً:

شَبَابٌ طَائِشٌ نَزِقُ وَ شِيبٌ مَا بِهِم رَمَقُ
فَفِي آرائِنَا شِيعٌ وَفِي أحزابِنَا فِرقُ
قَد استشرَى خِلافكُمُ ألَا يَا قَومُ فَاتَّفِقوا
فَمَا هَانُوا مَن اجتمَعُوا وَمَا سَادُوا مَن إفترَقوا

(المصدر السابق:٩١)

لقد ذكر الشاعر ظاهرة الجمود المخيّم علي المجتمع في الأبيات التى ذكرناها،فهو يُعلِّل لوجود هذا الجمود الشامل المسيطر على المجتمع فيدعو الشعب إلى توحيد الكلمة ورَصِّ الصفوف حتى لا يستغلّ العدو تفرّق كلمتهم وخذلان بعضهم البعض ليسيطر عليهم.

الاستنتاج

من خلال دراستنا للسخرية في شعر الشاعرمحمدرضا الشبيبى توصلنا الى أهم النتايج التالية:

١-اعتمدشاعرنا في شعره الساخرعلى رسم اللوحات والصور الشعرية الساخرة،لإظهار العيب والنقص الّذي يريد التوجيه اليه،و قد أتاح ذلک له فرصة الإطلاع على كثير من الصور المتعددة الأشكال ، و الألوان والتقسيمات والقسمات،كما أدى ذلک الى تنوع الصورة الشعريّة الساخرة ما بين تقريرية وخيالية،و هي إمّا بسيطة وإمّا مركبة.

٢-يهدف الشاعر من خلال الاتيان بالشعر الساخر في طيات ديوانه الى غايات نبيلة و أهداف سامية ،و مقاصد فاضلة يسعى الى تحقيقها بشتى الطرق والوسائل.

٣--إنّ شعر السّخريّة عند شاعرنا هو ليس مجرد شعرمملوء با لشتائم و ألوان القذف الّتي تحركها الكراهيّة ، وتقودها الأحقاد، وإنّما هو شعر له قيمته ،و له اهميته فى الحياة ،حيث ينشد تطهيرها وتطويرها.

٤-تطرق شاعرنا الى الكثير من القضايا التي عاشها مجتمعه العراقى بصوره عامه و النجفى بصوره خاصة وهو لم يأبَ لا الحاكم السياسى ولا العالم الدينى .تطرق الى كل ما هو زائف يخالف الشريعة الاسلامية و يحارب كل من اضطهد الشّعب العراقي محاولا من خلال بث روح المقامة و الشجاعة محاربة الاحتلال اياً كان، ومناصرة المظلومين و تنويرعقولهم وافكارهم للحصول على حقوقهم البسيطة .

قائمة المصادر والمراجع

الـقـرآن الـكـريـم.

إبن أحمد، الخليل ،١٤١٤هـق، العين، انتشارات اسوه، قم.

إبن سينا، ١٩٦٦م، الشفاء، دارالمعارف، القاهرة.

إبن منظور، جمال الدين، ١٩٩٨م، لسان العرب، داراحياءالتراث العربي، بيروت.

أدونيس(علي أحمد سعيد)، 1983م، زمن الشعر، دارالعوده، ط3، بيروت .

ـــــــــ، 1983م، مقدمة للشعر العربي، دارالعودة، ط4، بيروت .

بطي، رفائيل، ١٩٢٣م.الادب العصري في العراق العربي(قسم المنظوم)المطبعة السلفية، مصر.

البعلبكي منير، المورد، معجم اعلام، دارالعلم للملائين، بيروت، ط3، 1989 م.

الجيوسي، سلمى الخضراء: ٢٠٠١م، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ترجمة: د.عبدالواحد لؤؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت .

الخليلي، جعفر 1963م، هكذا عرفتهم، مطبعة الزهراء - بغداد .

الخياط، جلال، 1987م، الشعرالعراقي الحديث، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

داغر، يوسف أسعد1983م، مصادر الدراسة الأدبية، الجامعة البنانية، بيروت .

الزبيدي: تاج العروس، داراحياءالتراث العربي، بيروت، لا تا.

الزركلي ،خيرالدين:الأعلام، دارالعلم للملائين، بيروت، لاتا.

الزمخشري، جارالله، 1972 م، اساس البلاغة، مطبعةدارالكتب، القاهرة .

الشبيبي، محمدرضا، ١٩٤٠م، الديوان، جمعيةالرابطة الأدبية، القاهرة.

شناوة، علي عبد ،1995م ،الشبيبي في شبابه السياسي، دار كوفان للنشر.

طه، نعمان، 1978م، السخرية في الادب العربي، دارالتوفيقيةبالازهر، ط1، القاهرة، مصر.

عباس، احسان: ،2001م، اتجاهات الشعرالعربي المعاصر، دار الشرق، عمان، ط3.

عبدالحميد، شاكر، ٢٠٠٣م، الفكاهة والضحك، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت.

عزالدين ،يوسف، ١٩٧٧م ، الشعر العراقي، دارالمعارف، القاهرة.

ـــــ، ١٩٦٧م، في الادب العربي الحديث(بحوث ومقالات)، بغداد.

علام، محمدمهدي، 1986م ، المجمعيون في خمسين عاماً، منشورات مجمع اللغة العربية ، القاهرة.

غراب، سعيداحمد، ٢٠١٠م، السّخريةفي الشعرالمصري في القرن العشرين، دارالعلم والايمان، مصر.

الوردي، علي، ١٩٧٧م ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ،القسم الأول، بغداد.

المقالات و الرسائل الجامعية

إبراهيمي كاوري، صادق ،2003م، السخريةفي الشعرالعربي المعاصر، رسالةدكتراه جامعةآزادالإسلامية، علوم وتحقيقات تهران، ايران.

صدقِي، حامد و عبدالكريم البوغبيش، ١٣٩١ش «السّخريّةعندالشاعرالعراقي احم الصافي النجفي»، فصلية دراسات الادب المعاصر، السنة الرابعة، العدد١٤، صيف، صص٣١-٥٤.

عمران، سعدي غزاي، محمد رضا الشبيبي؛ عندما يكون السياسي شاعر، مقال منشور على شبكة النبأ العراقيّة.

Bibliography

The Holy Qur'an.

Ibrahimi Kauri, Sadiq, 2003AD, Irony in Contemporary Arabic Poetry, Islamic Azad University, Science and Investigations, Tehran, Iran

Ibn Ahmad, Alkhlil, 1414 AH, Al-Ain, Aswa Publications, Qom.

Ibn Sina: Al-Shifa, Dar Al-Maarif, Cairo, 1966.

Ibn Manzur, Jamal al-Din, 1998 AD, Lisan al-Arab, Dar al-Turath al-Arabi, Beirut.

Adonis (Ali Ahmed Saeed), 1983 AD, The Time of Poetry, Dar Al-Ouda, 3rd Edition, Beirut.

_____, 1983AD, An Introduction to Arabic Poetry, Dar Al-Awda, 4th Edition, Beirut.

Butti, Raphael, 1923 AD, Contemporary Literature in Arab Iraq (Al-Manzoom Department) Salafi Press, Egypt.

Baalbaki Munir, 1989 AD, Al-Mawred, Dictionary of Illam, Dar Al-Alam for the Complaints, Beirut, 3rd edition.

Al-Jayousi, Salma Al-Khadra: Trends and Movements in Modern Arabic Poetry, translated by: Dr. Abdul Wahed Lulwa, 2001AD, Center for Arab Unity Studies, 1, Beirut.

Al-Khalili, Jaafar, 1963 AD, This is how I knew them, Al-Zahraa Press - Baghdad.

Al-Khayat, Jalal,1987AD, Modern Iraqi Poetry, Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

Dagher, Youssef Asaad, 1983, Sources of Literary Study, Lebanese University, Beirut.

Al-Zubaidi: Crown of the Bride: Dar Al-Rahya Al-Arabi, Beirut, without date.

Al-Zarkali, Khair Al-Din: Al-Alam, Dar Al-Ilm for the Melinists, Beirut without date.

Al-Zamakhshari, Jarallah, 1972AD, The basis of rhetoric, Dar Al-Kutub Press, Cairo.

Al-Shabibi, Muhammad Reda, 1940 AD, Al-Diwan, Literary Association, Cairo.

Shanawa, Ali Abd: Al-Shabibi in his political youth, Kovan Publishing House, 1995.

Taha, Numan: , 1978 AD, Irony in Arabic Literature, Dar Al-Tawfiqia, Al-Azhar, I 1, Cairo, Egypt.

Abbas, Ihsan, 2001 AD, Trends in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al Sharq, Amman, 3rd Edition.

Abdul Hamid, Shaker, 2003 AD, Humor and Laughter, World of Knowledge Series, Al-Seyassah Press, Kuwait.

Izz Al-Din, Youssef, 1977AD, Iraqi Poetry, Dar Al-Maarif, Cairo.

_____, 1967 A.D, In Modern Arabic Literature (Researches and Articles), Baghdad.

Allam, Muhammad Mahdi, 1986 AD, The Companions in Fifty Years, Publications of the Academy of the Arabic Language, Cairo.

Ghorab, Saeed Ahmed, 2010AD, Irony in Egyptian Poetry in the Twentieth Century, House of Science and Faith, Egypt.

. Al-Wardi, Ali,1977AD, Social Glimpses of the Modern History of Iraq, Part One, Baghdad.

Articles

Ibrahimi Kauri, Sadiq, 2003 AD, Irony in Contemporary Arabic Poetry, Ph.D. Thesis at Islamic Azad University, Science and Investigations, Tehran, Iran.

Sadqi, Hamid and Abdol Karim Al-Bogbeish, 1391 st. “The Irony of the Iraqi Poet Aham Al-Safi Al-Najafi”, Quarterly Studies of Contemporary Literature, Fourth Year, Issue 14, Summer, pp. 31-54.

Omran, Saadi Ghazai, and Muhammad Reda Al-Shabibi;When a politician is a poet, an article published on the Iraqi An-Naba Network.

الاستشهاد إلى: البوغبيش عبدالكريم، انصارى پور رحيم، عشميديان عزيز، السّخريّة في شعر محمدرضاالشّبيبي، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة عشرة، العدد الثالثة والخمسون، ربيع ١٤٤٣، الصفحات ١٨٤-١٦٤.